

تأليف
عبد الشافي محمد عبد اللطيف
أستاذ التاريخ الإسلامي / جامعة الأزهر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد . أهل الصفة / تأليف عبد الشافي محمد عبد اللطيف . - ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٧ .
٦٤ ص ؛ ١٧سم .
تدمك ٤٣٣٢ ٤١٨ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الصحابه والتابعون .
أ - العنوان .
٢٣٩,٩

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أهل الصُّفَّة ﷺ

الصُّفَّة مكان مسقوف ملحق بمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، وكان في الجهة الشمالية منه ، وقد خصص لإقامة وإعاشة فقراء الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين لا بيوت لهم ولا أسر يأوون إليها ، ومع ذلك عندما سنذكر أسماء بعضهم سنجد بينهم من لم ينطبق عليهم وصف الفقر ، وكان بينهم ونسب إلى أهل الصُّفَّة بعض الأنصار - أهل المدينة - الذين لهم بيوت وأسر ، وسنعرف إن شاء الله تعالى - فيما سيأتي - لماذا لجأ هؤلاء إلى

الصُّفَّة ، وأحبوا أن يُعَدُّوا من أهلها .

والصُّفَّة التي نتحدث عنها كانت خارج المسجد النبوي .

أما في داخله فقد كانت تقام قُبَّة أحيانًا - من صوف وهي أشبه بالخيمة - لإقامة بعض كبار الزوار الذين كانوا يفدون على رسول الله ﷺ ، وكذلك بعض الوفود عندما كانت تمتلأ دور الضيافة المخصصة لهم وتضيق عنهم ، فقد كان في المدينة المنورة دور كثيرة لاستضافة الوفود العديدة التي كانت تفد على رسول الله ﷺ ، وكانت هذه الدور تستضيفهم أيام إقامتهم ، ويقوم الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - على خدمتهم وبصفة خاصة موالي

رسول الله ﷺ ؛ مثل بلال وثوبان وسفينة وشقران وغيرهم . وبعض هذه الدور تبرع بها بعض الأنصار لاستضافة ضيوف رسول الله ﷺ ، وكان بعضها واسعًا جدًّا يستوعب مئات الأشخاص، مثل الدار بل الحديقة الكبيرة التي تبرعت بها السيدة / رملة بنت الحارث الأنصارية رضي الله عنها فقد ذكر ابن إسحاق في السيرة [1] : أن الرسول ﷺ حبس فيها بني قريظة عندما صدر عليهم الحكم بالقتل جراء خيانتهم وغدرهم في غزوة الأحزاب ، وكان عددهم نحو ستمائة رجل ؛

(١) انظر سيرة النبي ﷺ . تأليف محمد بن إسحاق ، وتهذيب عبد الملك بن هشام ، (٢٥٩/٣) . طبع رئاسة البحوث العلمية بالرياض بالمملكة العربية السعودية . بدون تاريخ .

لأنهم تآمروا مع قريش وحلفائها على استئصال الإسلام والمسلمين نهائيًا ، ومن الذين أقام لهم رسول اللَّه ﷺ قبة داخل مسجده ليقيموا فيها وفد نجاشي الحبشة الذين صحبوا صحابة رسول اللَّه ﷺ الذين كانوا هاجروا إليها ، فلما طلب الرسول عودتهم وبعث عمرو بن أمية الضمري في ذلك إلى النجاشي .

لم يتركهم النجاشي يعودون وحدهم وإنما بعث معهم وفدًا ملكيًا يوصلهم إلى المدينة المنورة تكريمًا لرسول اللَّه ﷺ ولهم ، فلما جاء هذا الوفد استقبله رسول اللَّه ﷺ مرحبًا هاشًّا باشًّا لهم ، وأقام لهم قُبَّةً في المسجد ، وكان يسهم بنفسه في القيام على خدمتهم ، وكان الصحابة - رضوان اللَّه

عليهم - يقولون له : نكفيك ذلك يا رسول اللَّه - يعني نخدمهم نحن وأنت تستريح - فقال لهم : « **كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم** » ، وهذا مثل رائع من تواضعه ﷺ ووفائه لأناس أكرموا وفادة أصحابه لسنين طويلة .

ومن الوفود التي أقام لها رسول اللَّه ﷺ قبةً في مسجده وفد نصارى نجران حين وفدوا عليه ليحاوروه ، ومع أنه عرض عليهم الإسلام فلم يقبلوه فقد أكرمهم وسمح لهم بالصلاة في مسجده (١) .

ومن الوفود التي أقام لها رسول اللَّه ﷺ قُبَّة في مسجده ، وفد ثقيف الذي وفد عليه

(١) سيرة ابن هشام ، مصدر سابق (٢٠٦/٢) .

في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ليبايعوا رسول الله ﷺ ويعلنوا إسلامهم فقد أقام لهم قبة في ناحية من المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وكان بلال ؓ هو الذي يقوم على خدمتهم ، ويأتيهم بفطورهم وسحورهم من عند رسول الله ﷺ [1] .

نعود بعد هذا الاستطراد في الحديث عن دور الضيافة والقُبّة إلى الحديث عن الصُّفَّة وأهلها الذين هم الغرض الأساسي من هذا

---

(١) انظر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، (ص ٦٦٩) لأبي الحسن الخزاعي ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

البحث ، لم نعثر على إحصاء دقيق لأهل الصُّفَّة يبيِّن أعدادهم بالضبط ؛ لأنهم كانوا يزيدون عندما يرد عليهم وافد جديد ، أو ينقصون عندما يتركهم بعضهم إما لأنهم تزوجوا وأصبحت لهم أسر وبيوت يأوون إليها وإما لأنهم قد ماتوا ، وعلى كل حال رأينا أبا نعيم الأصفهاني - ت ٤٣٠هـ - يترجم لأكثر من ثمانين منهم في حلية الأولياء [١] . وذكر عبد الله بن عبد الملك المرجاني أسماء نحو أربعين منهم [٢] . ولهم

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . دار الفكر العربي - بيروت بدون تاريخ ، (٣٣٧/١) وما بعدها .

(٢) بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار . تحقيق محمد عبد الوهاب فصل ، دار الغرب الإسلامي (٥١١/١ - ٥١٤) .

ترجمات في كتب طبقات وتراجم الصحابة ؛ مثل الطبقات الكبرى لابن سعد - ت ٢٣٠هـ - والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢هـ - والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - ت ٤٦٣هـ - وغيرها .

وعنهم يقول أبو نعيم الأصفهاني - رحمه اللَّه تعالى - « ونذكر مستعينين باللَّه شأن أهل الصُّفَّة وأخلاقهم وأحوالهم ، وتسمية من سمى لنا اسمه بالأسانيد المشهورة والشواهد المذكورة ؛ وهم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم عن الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء .. لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا يلهيهم عن ذكر اللَّه تجارة ولا مال ، لم يحزنوا

على ما فاتهم من الدنيا ، ولا يفرحوا إلا بما أيدوا به من العقبى هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ولم يأسوا على ما فاتهم ، ولم يفرحوا بما آتاهم ، مما هم مليكهم من التمتع بالدنيا والتبسط فيها لكيلا يبغوا ولا يطغوا » [١] ويقول في مكان آخر :

« الظاهر من أحوالهم والمشهور من أخبارهم ، غلبة الفقر عليهم ، وإيثارهم القلة واختيارهم لها ، فلم يجتمع لهم ثوبان ، ولا حضرهم من الطعام لونان » [٢] .

وكان رسول الله ﷺ كثير التردد عليهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم

---

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق (١/٣٣٨) .

(٢) المصدر السابق (١/٣٤٠) .

وحضور مجالسهم ، فقد روى أبو نعيم في الحلية أن رسول اللّٰه ﷺ جاء إلى الصُّفَّة ، فقال : « **كيف أصبحتم ؟** » قالوا : « بخير » .. فقال ﷺ : « **أنتم اليوم خير وإذا غدي على أحدكم بجفنة وريح بأخرى ، وستر أحدكم بيته كما تستر الكعبة** » – يعني بذلك أنهم صاروا أغنياء مترفين يزينون بُيُوتَهُمْ بِالسَّتَائِرِ – فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، نُصيب ذلك ونحن على ديننا ؟ فقال : « **نعم** » فقالوا : « فنحن يومئذ خير نتصدق ونعتق » فقال ﷺ : « **لا بل أنتم اليوم خير ، إنكم إذا أصبتموها** – أي الدنيا – **تحاسدتم وتقاطعتم وتباغضتم** » [١] وقد

(١) المصدر السابق ، (١/٣٤٠) .

وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى ؛ مثل حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وهو من أهل الصُّفَّة ، فقد روي عنه أنه قال : « خرج إلينا رسول اللَّه ﷺ ونحن في الصُّفَّة ، فقال : « **أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحاء مكة والعقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم** ؟ » فقلنا : كلنا يا رسول اللَّه نحب ذلك ، قال : « **أَوَ لا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلَّم أو يقرأ آيتين من كِتَابِ اللَّهِ تَعَالى خير له من ناقتين وثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل** » [1] .

ويعلق أبو نعيم رحمه الله على ذلك بقوله : « فحديث عقبة يصرِّح بأن النبي ﷺ ،

(١) المصدر السابق ، (٣٤١/١) .

كان يردهم عند العوارض الداعية إلى تمني الدنيا والإقبال عليها إلى ما هو أليق بحالهم وأصلح لبالهم ، من الاشتغال بالأذكار ، وما يعود عليهم من منافع البيان والأنوار ويُعصمون به من المهالك والأخطار ، ويستروحون إليه مما يرد من الأماني على الأسرار » (١) .

وهذا فقه عظيم من رسول الله ﷺ ، فهو يطمئنهم أن حالتهم التي هم عليها من الفقر والفاقة والتفرغ لعبادة الله والذكر أصلح لحالهم مما لو صاروا أغنياء ، فليس كل إنسان يصلحه الغنى أو يصلح له الغنى ؛ ومن هذا الباب الحديث القدسي المشهور : « **إن من عبادي مَن يصلح له الفقر**

(١) المصدر السابق نفسه .

ولو أغنيته لفسد حاله ، ومنهم مَن يصلح له الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » .

ولذلك ذهب كبار مفسري القرآن الكريم إلى أن قول اللّه تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] . قد نزل في شأن أهل الصُّفَّة : قال خباب بن الأرت ﷺ وكان منهم : فينا نزلتْ - هذه الآية - نظرنا إلى أموال بني النضير وبني قريظة فتمنيناها فنزلت [1] . ويشرح الإمام

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، (٤٤٨٥/٨) ، طبع دار الفكر . بيروت سنة (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م) ، وانظر كذلك جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ، (٧٢٤٣/٩) نشر دار السلام ، القاهرة ، (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥ م) .

القرطبي بعض مفردات الآية . فيقول ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ﴾ معناه ؛ وسع وبسط الشيء نشره ﴿لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ طغوا وعصوا ، وقال ابن عباس : بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ، ودابة بعد دابة ، ومركبًا بعد مركب ، وملبسًا بعد ملبس ، وقيل : أراد لو أعطاهم الكثير ، لطلبوا ما هو أكثر منه – لقوله ﷺ : « **لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا** » وهذا هو البغي ، وهو معنى قول ابن عباس . وقيل : لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض ، ولتعطلت الصنائع .. ثم يستطرد الإمام القرطبي فيقول : قال علماؤنا : أفعال الربِّ سبحانه لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على اللّٰه الاستصلاح ؛ فقد يعلم من حال العبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى

الفساد ، فيزوي عنه الدنيا مصلحة له ، فليس ضيق الرزق هوانًا ، ولا سعة الرزق فضيلة (١) وهذا الذي ذهب إليه الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ قول سديد ، ويدعمه شرحه لمعنى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣١ ، ٣٢] حيث يقول في تفسير ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف ٣٢] يعني النبوة ، فيضعونها حيث شاؤوا ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

(١) الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، (٨/٤٤٨٥) .

ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ ، أي : أفقرنا قومًا وأغنينا قومًا ، فإذا لم يكن أمر الدنيا إليهم ، فكيف يفوض أمرة النبوة إليهم ، قال قتادة : تلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللِّسان ، وهو مبسوط له - في الرزق - وتلقاه شديد الحيلة ، بسيط اللسان وهو مقتَّر عليه [1] في الرزق .

إذن هي حكمة الخالق ﷻ في خلقه ؛ حيث يجعل بعضهم غنيًا وبعضهم فقيرًا ؛ ليخدم بعضهم بعضًا لتستقيم أمور الحياة . وأهل الصُّفَّة لعلَّ اللَّه تعالى كرامة منه لهم أن جَعَلهم فُقَرَاء ؛ لتصفوا نفوسهم من أكدار الدنيا وطلبها ، وهذا المعنى لحظه ،

(١) الجامع لأحكام القرآن . مصدر سابق ، (٨/٥٢٥٤) .

الإمَام أَبُو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ حيث قال عنهم : « استوطنوا الصُّفَّة فصفَّوا من الأكدار ، ونقوا من الأغيار ، وعصموا من حظوظ النفوس والأبشار ، وأثبتوا في جملة المصطنع لهم من الأبرار ، فأنزلوا في رياض النعيم ، وسقوا من خالص التسنيم » (١) .

رسول الله ﷺ يعجبه صنيع أهل الصُّفَّة ويجالسهم :

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، وكان من أهل الصُّفَّة ، مع أنه أنصاري له بيت وأسرة في المدينة المنورة ، لكنه كان كغيره من كبار الصحابة (رضوان اللَّه عليهم) يأوي إلى الصُّفَّة ويخالط أهلها تبركًا بهم فقد قال رضي الله عنه : أتى علينا رسول ﷺ ، ونحن أناس من ضعفة

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (٣٤٣/١) .

المسلمين ، ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ، ما أظنُّ رسول اللَّه ﷺ يعرف أحدًا منهم ، وإن بعضهم ليتوارى من بعض من العري ، فقال رسول اللَّه ﷺ : بيده ، فأدارها شبه الحلقة ، فاستدارت له الحلقة ، فقال ﷺ : « **بِمَ كنتم تراجعون ؟** » قالوا : هذا رجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ، قال : « **فعودوا لما كنتم فيه** » ثم قال : « **الحمد للَّه الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم** » [1] يشير رسول اللَّه ﷺ إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ

---

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (١/٣٤٣) .

مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] [١] .

وروي عن سلمان الفارسي ﷺ ، وكان من أهل الصُّفَّة أنه قال : « كنَّا في عصابة - جماعة من الناس - نذكر اللَّه ﷻ ، فمر علينا رسول اللَّه ﷺ ، فكَفُّوا فقال : « **ما كنتم تقولون** ؟ » فقلنا : نذكر اللَّه يا رسول اللَّه ، قال : « **قولوا فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها** » [٢] .

أهل الصُّفَّة والتكافل الاجتماعي في الإسلام :

إن حالة أهل الصُّفَّة وما كانوا عليه من

(١) وانظر تفسيرها في الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، (٣٠٧٧/٥) .

(٢) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (٣٤٢/١) .

الفقر والفاقة تظهر لنا صورة رائعة وكريمة من التكافل الاجتماعي في الإسلام ، فقد كانوا موضع اهتمام ورعاية الرسول ﷺ ، ولم يكن ينام مطمئنًا إلَّا بعد أن يتأكد أنهم قد تناولوا عشاءهم ، فقد روي عن عبد الرحمن ابن أبي بكر ﷺ أنه قال : إن أصحاب الصُّفَّة كانوا أناسًا فقراء ، وأن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وسادس** » وإن أبا بكر ﷺ جاء إلى بيته بثلاثة ، وانطلق رسول اللَّه ﷺ بعشرة [١] .

وقال ابن حجر في ترجمته لسعد

---

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (٣٣٨/١) .

ابن عبادة : « وروى ابن أبي الدنيا من طريق ابن سيرين قال : كان أهل الصُّفَّة إذا أمسوا ، انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين ، والرجل بالجماعة ، فأما سعد فكان ينطلق بثمانين ، وروى الدار قطني في كتاب « الأسخياء » ، من طريق هشام بن عروة عن أبيه - عروة ابن الزبير بن العوام - قال : كان منادي سعد ينادي على أُطُمة : مَن كان يريد شحمًا ولحمًا فليأتِ سعدًا ، وكان سعد يقول : اللهم هب لي مجدًا ، ولا مجد إلا بفِعَال ، ولا فِعَال إلا بمال ، اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه »[1] وكان سعد بن عبادة ﷺ مشهورًا بالجود هو وأبوه وجده وولده ، وكانت جفنة سعد تدور مع

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ، (٤/١٥٢ ، ١٥٣) .

رسول اللَّه ﷺ في بيوت أزواجه »[١] .

وكان الصحابة (رضوان اللَّه عليهم) شديدي الاهتمام بأهل الصُّفَّة والحدب عليهم ، وكان أصحاب النخل منهم عندما يجذون نخلهم يأتون بأعذاق التمر يعلقونها في سواري مسجد رسول اللَّه ﷺ ليأكل منها أهل الصُّفَّة وغيرهم من رواد المسجد .

لقد سبقت الإشارة إلى أنني لم أعثر على إحصاء دقيق لأعداد أهل الصُّفَّة ؛ نظرًا لعدم ثبات العدد ، فأحيانًا يزيد وأحيانًا ينقص ، ولكن الروايات المتواترة التي تقول أن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان ينطلق إلى بيته بثمانين منهم يعشيهم ، يعطينا مؤشرًا على

---

(١) المصدر السابق ، (٤/١٥٢) .

كثرة عددهم ، وقد ذكر صاحب كتاب « بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار » [1] ، أكثر من أربعين منهم .

فقال : « وأمّا أهل الصُّفَّة ؛ فمنهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الله ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، وبلال ابن رباح وصهيب الرومي وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ، وعتبة بن غزوان ، وزيد بن الخطاب ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبو مرثد ، وعتبة ابن مسعود ، وأبو الدرداء ، ومسطح بن أثاثة ، وعكاشة بن محصن ، وطلحة بن عمرو ، وواثلة بن الأسقع ، ومعاذ بن الحارث ، والسائب بن خلاد ، وصفوان ابن البيضاء ،

---

(١) مصدر سابق ، (١/٥١١ - ٥١٤) .

ومسعود بن الربيع ، وأبو اليسر كعب ابن عمرو ، وأبو عَبْس بن جبر ، وعويم ابن ساعدة ، وأبو لبابة ، وسالم ابن عمير ، وخبيب ابن يساف ، وعبد اللَّه ابن أنيس ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد اللَّه بن بدر ، والحجاج بن عمرو ، وأبو هريرة ، وثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ ، وعبيد مولاه أيضًا ، وثابت ابن وديعة ، وجرهد ابن خويلد ، وبشير ابن الخصاصية ، وربيعة بن كعب ، وثابت ابن الضحاك ، وأسماء بن حارثة ، وسالم ابن عبيد الأشجعي ، وأشجع منسوب إلى أشجع ابن ريث ، وأبو سعيد الخدري ، وخريم ابن فاتك » .

وقد ترجم أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء لأكثر من ثمانين من أهل

الصُّفَّة على حروف المعجم ، وكذا الحاكم في المستدرك ، وابن البيضاء في تاريخ مكة ، والنهرواني في تاريخ المدينة [١] .

أكابر الصحابة وآل البيت يداومون على زيارة أهل الصُّفَّة بعد وفاة رسول الله ﷺ :

باستعراض أسماء أهل الصُّفَّة في المصادر التي ترجمت لهم نجد بينهم رجالًا من كبار الصحابة لا ينطبق عليهم الوصف العام لهم ، وهو الفقر والفاقة ، فرجال مثل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وزيد ابن الخطاب رضي الله عنه ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما لم يُعرف عنهم الفقر

(١) انظر : بهجة النفوس والأسرار ، مصدر سابق ، (٥١٤/١) هامش (١) .

والفاقة التي تضطرهم إلى الانخراط في أهل الصُّفَّة ، كما رأينا بينهم عددًا لا بأس به من أهل المدينة المنورة ، الذين لهم أسر وبيوت ؛ مثل . البراء بن مالك الأنصاري ، وثابت ابن الضحاك الأنصاري ، وحبيب ابن زيد الأنصاري ، وحارثة ابن النعمان الأنصاري ، وحنظلة ابن أبي عامر الأنصاري - غسيل الملائكة - وأبو سعيد الخدري ، ذكر هؤلاء وغيرهم (رضي اللَّه عنهم جميعًا) من أهل الصُّفَّة ، فما السبب الذي ألجاهم إلى الصُّفَّة وهم ليسوا في حاجة إلى ذلك ؛ لأنهم ليسوا فقراء ولهم أسر وبيوت ، فحنظلة بن أبي عامر ، قصته مشهورة ،

سبب وصفه بغسيل الملائكة ؛ لأنه حضر غزوة أحد ، واستشهد فيها ، وأخبر الرسول ﷺ أن الملائكة قد غسلته ، وقال : « **فاسألوا أهله ما شأنه** » فسئلت صاحبته – أي زوجته – فقالت : خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **لذلك غسلته الملائكة** » [1] الذي نرجحه من خلال قراءة قصة أهل الصُّفَّة (رضوان اللّه عليهم) أن الذي حمل هؤلاء الصحابة الذين لم يكونوا فقراء ، ولم يكونوا يعانون فاقة تضطرهم إلى الانخراط في صفوف أهل الصُّفَّة ، وكذلك الصحابة من الأنصار الذين لهم بيوت وأسر ، إن أهل الصُّفَّة ، قد

---

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (٣٥٧/١) .

حظوا من رسول الله ﷺ باهتمام وحب وثناء على مسلكهم في العبادة وقراءة القرآن الكريم ، وكان هو ﷺ يشاركهم مجالسهم - كما مرَّ ذكره - لذلك كان هؤلاء الصحابة يأوون إليهم لصحبتهم والتبَرك بهم ، حتى بعد وفاة الرسول ﷺ ؛ فقد ظل الأكابر من الصحابة وآل البيت النبوي الكريم يوالون زيارتهم ويحبون الجلوس معهم ، ويتبركون بهم لما خصوا به من الألطاف ، وعصموا به من الإسراف والإتراف حسب تعبير صاحب حلية الأولياء ، الذي روى أن عمر بن الخطاب ﷺ - وهو أمير المؤمنين - دعا علي بن أبي طالب ﷺ فساره ، فقام علي ﷺ فجاء الصُفَّة فوجد العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب

والحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنهم جميعًا ، فشاورهم في تزويج عمر بن الخطاب ﷺ من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ ، ثم يواصل أبو نعيم الأصفهاني حديثه في حلية الأولياء في هذا السياق فيقول : وكذلك كان أهل بيت رسول اللَّه ﷺ يوالون أهل الصُّفَّة والفقراء ، ويخالطونهم ؛ اقتداءً برسول اللَّه ﷺ ، واستنانًا به ، فممن كان يكثر مجالستهم ومخالطتهم ، ومجالسة سائر الفقراء في كل وقت الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب ، ويرون في محبتهم إكمال الدين ، وفي مجالستهم إتمام الشرف على ما كانوا يرجعون إليه من التشرف برسول اللَّه ﷺ ، والانتساب إليه ، اغتنامًا

لدعائهم ، واقتباسًا من أخلاقهم وآدابهم [1] .

ابو هريرة عريف اهل الصُّفَّة

من أشهر أهل الصُّفَّة وأكثرهم ملازمة لها أبو هريرة ، وكأنه أصبح عريفهم أو عميدهم ، يعرف كل شؤونهم وأحوالهم لطول إقامته معهم ، وكان مرجع رسول الله ﷺ في كل أمورهم ، فكان إذا أرادهم لأمر طلب من أبي هريرة أن يجمعهم له ، فقد روى مجاهد عن أبي هريرة أنه قال : مرَّ بي رسول الله ﷺ ، فقال : « **أبا هر** » فقلت : لبيك يا رسول الله قال : « **الحق أهل الصُّفَّة فادعهم** » قال : وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ،

(١) راجع حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (٢/٣٤) .

إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئًا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم منها ، وأصاب منها وأشركهم فيها » [١] .

وأبو هريرة ﷺ ، عميد أهل الصُّفَّة وعريفهم هو أشهر رواة الحديث عن رسول اللَّه ﷺ [٢] ، لدرجة أن بعض الناس يستكثر هذا العدد من الأحاديث التي رواها والتي أوصلها بعضهم إلى سبعة آلاف حديث ، ويقولون : كيف تأتى لرجل لم يصحب رسول اللَّه سوى ثلاث سنين أن يروي كل هذه الأحاديث ويحفظها عن ظهر قلب ، وهذا لم يتأتَ لأحد سواه ممن طالت

---

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (١/٣٣٨) .
(٢) انظر ترجمته كاملة في الإصابة لابن حجر ، مصدر سابق ، (١٢/٦٣) . وما بعدها .

صحبتهم لرسول الله ﷺ ، ولكن بالرجوع إلى المصادر الموثوق منها يزول العجب ؛ لأن الرجل فرّغ نفسه من كل مشاغل الدنيا ، وكرّسها لسماع أحاديث رسول الله ﷺ وكان يقول : إن المهاجرين شغلهم الصفق بالأسواق ؛ يعني بقصد التجارة ، والأنصار شغلتهم مزارعهم وحقولهم ، وأنا شغلت بجمع أحاديث رسول الله ﷺ ، فقد روى ابن سعد بسند جيد عن سعيد بن عمرو بن سعد بن العاص ، قال : قالت عائشة رضي الله عنها لأبي هريرة : « إنك لتحدث بشيء ما سمعته - أي من رسول الله ﷺ - فقال لها : « يا أمه ، طلبتها وشغلك عنها المكحلة والمرآة »[1] لكل

(١) ابن حجر الإصابة ، مصدر سابق ، (٧٥/١٢) .

ذلك يقول ابن حجر : « وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثًا ، وذكر أبو محمد ابن حزم ، أن مسند بقيٍّ بن مخْلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلثمائة حديث » [١] ، وقد روى أبو هريرة ﷺ الحديث عن عدد من كبار الصحابة ؛ مثل : أبي بكر وعمر وعائشة ﷺ ، وقال البخاري : « روي عنه عن أبي هريرة نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره » [٢] .

المجاهدون من أهل الصُفَّة :

قد يظن البعض بعد أن يقرأ كل ما تقدم عن

---

(١) المصدر السابق ، (١٢/٦٨) .

(٢) المصدر السابق ، (١٢/٦٩) .

أهل الصُّفَّة (رضوان الله عليهم) أنهم تبؤوا تلك المكانة العالية التي جعلت رسول الله ﷺ يجالسهم ويشاركهم أذكارهم ، وأن هذا جعل الأكابر من الصحابة وآل البيت النبوي الكريم يُجِلونهم ويتأسون بهم ، ويداومون على زيارتهم ومودتهم حتى بعد وفاة الرسول ﷺ ، قد يظن البعض أنه لم يكن لهم عمل إلَّا العبادة وقراءة القرآن وذكر الله ﷻ ، صحيح أنهم اشتهروا بذلك ، ولكن الصحيح أيضًا أن معظمهم كانوا مجاهدين ، لهم في ميدان الغزو مع رسول الله ﷺ قدم ثابتة ، وكذلك في الفتوحات الإسلامية بعده ، والحقيقة أنه ليس هناك صحابي إلَّا وله أثر ودور في بناء المجد الإسلامي الشامخ بكل أبعاده ؛ سياسة وإدارة

وحضارة ، فكل منهم أسهم وبكل صدق وإخلاص نية للَّه ﷻ ، حسب قدراته وطاقاته ، في بناء ذلك المجد الإسلامي الخالد ، الذي لا يزال يؤرق أعداء الإسلام ، ويقض مضاجعهم، فلا شك أن تلك الحملات الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام في كل يوم في الوقت الحاضر على الإسلام والمسلمين ، ما هي إلا تعبير عن خوفهم من بعث إسلامي حقيقي يعيد أمجاد الإسلام والمسلمين التي كانت ؛ فهم يخافون من ذلك لأنه لو حدث فسوف يوقفهم عند حدهم ، ويقضي على مظالمهم وطغيانهم على خلق اللَّه ، ولكنه آتٍ بإذن اللَّه ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر اللَّه . إن اللَّه ﷻ كما اصطفى محمدًا ﷺ وشرَّفه بحمل الرسالة الخاتمة لرسالات السماء

ليبلغها للناس كافة ، ويكون رحمة للعالمين ، فقد اصطفى له الأمة التي تعاونه وتجاهد معه لتبليغ تلك الرسالة الخالدة ، يقول اللّٰه تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

كانوا رهبانًا في الليل فرسانًا في النهار ، بهذا الوصف وصفهم أعداؤهم ، الذين التقوا بهم في ساحات الوغى وميادين

القتال ، وإذا كان عميد أهل الصُّفَّة وعريفهم أبو هريرة ﷺ قد برّز وتفوق في ميدان رواية الحديث عن رسول اللّه ﷺ ، وفاق أقرانه في ذلك كما سبقت الإشارة ، فهناك من الصحابة الذين نسبوا للصفة وعدوا من أهلها من كان لهم الأثر العظيم في الغزو والفتح وإذا كان هذا البحث الموجز لا يتسع للحديث عن الكل فلا أقل من أن نعطي نماذج لكبار المجاهدين من أهل الصُّفَّة ، ولنبدأ بأمين هذه الأمة .

ابو عبيدة بن الجراح [1] :

كان اسم أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أول

(١) انظر أخباره في الطبقات الكبرى لابن سعد ، (٣٧٩/٣) وما بعدها ، طبع مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ .

اسم أورده صاحب بهجة الأسرار والنفوس في قائمة أهل الصُّفَّة ، ولكنه كغيره من معظم أهلها كان يأوي إليها في الأوقات التي لا يكون فيها غزو أو جهاد في سبيل اللَّه ، أما في أوقات الغزو والجهاد ، فكانوا في الطليعة من جيش الحق ، وأبو عبيدة ﷺ ، الذي فاز بلقب أمين الأمة ، على لسان سيد الخلق محمد ﷺ ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة أيضًا هو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كما ذكر ابن إسحاق في السيرة [1] ، وقد هاجر إلى الحبشة ، في الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وكان من كبار

(١) انظر سيرة ابن هشام ، مصدر سابق ، (١/٢٦٩) .

العسكريين الذين تمرسوا على فنون القتال ، وقد أمّره رسول اللّٰه ﷺ على أكثر من سرية وهو من القلة التي ثبتت مع رسول اللّٰه ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس وولوا الأدبار ، وهو الذي نزع حلقتي المغفر اللتين دخلتا في وجه رسول اللّٰه ﷺ بأسنانه ، وسقطت ثنيتاه فكان في الناس أثرم ، وكانت هذه علامة فخر ومجد وفخار له بين الناس .

شهد أبو عبيدة ﷺ المشاهد كلها مع رسول اللّٰه ﷺ وفي عهدي أبي بكر وعمر ابن الخطاب ﷺ كان أبرز القادة العسكريين ، وكان قائد الجيوش التي فتحت بلاد الشام وظل أميرًا عليها إلى أن استشهد ﷺ في طاعون عمواس سنة

١٨هـ ، كان أبو عبيدة آية في الإخلاص في الجهاد في سبيل الله ، ولا شك أنه يعد من أبرز بناة الدولة الإسلامية ، وكان موضع حب رسول الله ﷺ ، وإجلال الشيخين الجليلين بعده ؛ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت فيه أحدًا ، فإن سئلت عنه قلت استخلفت أمين الله وأمين رسوله » [1] .

معذرة نحن هنا لا نؤرخ حياة أبي عبيدة رضي الله عنه ، فهو أمر لا يكفيه مجلد كبير ، وإنما فقط مجرد إشارة إلى واحد من

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد . مصدر سابق ، (٣٨٢/٣) .

صحابة رسول اللَّه الذين نسبوا إلى الصُّفَّة وعدوا من أهلها ولكي لا نكرر هذه العبارة مرة أخرى فإن حديثنا عن الآتي ذكرهم من مجاهدي أهل الصُّفَّة هو من هذا القبيل .

المقداد بن عمرو (١) :

كان يقال للمقداد بن عمرو بن ثعلبة المقدام ابن الأسود ؛ لأن الأسود بن عبد يغوث الزهري كان قد تبناه في الجاهلية فعُرف بالمقداد بن الأسود ، فلما أبطل اللَّه ﷻ التبني ، ونزل قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ عاد إليه نسبه إلى أبيه وأصبح الناس يدعونه المقداد بن عمرو ، هو أيضًا

(١) راجع في أخباره ، المصدر السابق ، (١٤٨/٣) وما بعدها .

كان من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة وهو من فرسان الصحابة المعَلَمين ، وكان أحد فارسين فقط للمسلمين في بدر ، وهو أول من عدا بفرسه في سبيل اللَّه ، وروي عن طارق ابن عبد اللَّه ﷺ قوله : « شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما عدل به ، إنه أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين - يوم بدر - فقال يا رسول اللَّه : إنا واللَّه لا نقول لك كما قال قوم موسى ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك ، قال : فرأيت

النبي ﷺ يُشرقه لذلك ويسره ذلك[1] شهد المقداد بن عمرو ﷺ المشاهد كلها مع رسول اللّه ﷺ ، وكان من الرماة المشهورين ، ثم أبلى في الفتوحات الإسلامية أحسن البلاء ، وكان أحد القادة الكبار الذين أرسلهم عمر بن الخطاب ﷺ مددًا لعمرو بن العاص ﷺ في أثناء فتح مصر ، عندما طلب مددًا من عمر فكتب إليه : « إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف ؛ الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ، وعبادة ابن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، وقال آخرون بل خارجة بن حذافة ، لا يعدون

(١) المصدر السابق ، (١٤٩/٣) .

مسلمة ، وقال عمر بن الخطاب - لعمرو ابن العاص - : اعلم أن معك اثني عشر ألفًا ، ولا يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة » [1] هذا هو المقداد بن عمرو ، الذي عُدَّ من أهل الصُّفَّة ، والذي قال عنه عمر بن الخطاب ﷺ : إنه رجل بمقام ألف رجل ، وعمر ليس بالرجل الذي يلقي القول على عواهنه أو يجامل فهو لا يقول إلا ما هو مقتنع به ، والرجل فعلًا كان في ميدان القتال يعدل ألفًا ، وبجهاده هو ومن معه كان فتح مصر ، الذي كان إضافة عظيمة للدولة الإسلامية .

---

(١) انظر فتوح مصر وأخبارها ، لعبد الرحمن بن عبد الحكم . تحقيق محمد صبيح بدون تاريخ ، (ص٥٠) .

ظَلَّ الْمِقْدادُ بن عمرو مجاهدًا صادقًا في سبيل اللَّه إلى أن توفي سنة ٣٣هـ ، في عهد عثمان بن عفان ﷺ ، وهو الذي صلى عليه ودفن بالبقيع في المدينة المنورة .

عتبة بن غزوان [١] :

عتبة بن غزوان بن جابر ، من حلفاء بني نوفل بن عبد مناف بن قصي ، نسب إلى الصُّفَّة وعَدُّ من أهلها ، ومع ذلك فهو من أبطال المجاهدين في سبيل اللَّه ، وكان من الرماة المذكورين ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة

(١) راجع أخباره في الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، (٩٢/٣) وما بعدها .

الثانية ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وشهد المشاهد مع رسول اللَّه ﷺ ، وفي الفتوحات في عهدي أبي بكر وعمر كان له ذكر أي ذكر ، وبصفة خاصة في فتح العراق ، وكان له دور كبير في النصر العظيم الذي حققه المسلمون في معركة القادسية سنة ١٤هـ بقيادة سعد ابن أبي وقاص ، وبعد ذلك كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يوجه عتبة إلى جنوب العراق ، لينشئ مدينة البصرة ، فأنشأها وأصبح أميرًا عليها إلى أن توفي فيها سنة ١٧هـ رضي اللَّه عنه وأرضاه ، وحسبك بمن يرتضيه عمر ابن الخطاب أميرًا على مصر كبير .

زيد بن الخطاب [1] :

نختم هذه النماذج التي نقدمها للمجاهدين من الصحابة أهل الصُّفَّة بالحديث عن زيد بن الخطاب بن نفيل ، وأمه أسماء بنت وهب بن حبيب ، فهو أخ غير شقيق لعمر بن الخطاب ، وأسن منه وأسلم قبله وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ ، وكان فارسًا معلمًا ، وكان تواقًا إلى الشهادة في سبيل اللَّه ، حتى إنه يوم غزوة أحد آثره أخوه عمر بن الخطاب بدرعه يتقي بها الضرب والطعان ، وأقسم عليه أن يلبسها

---

(١) راجع أخباره في الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، (٣٥٠/٣) وما بعدها .

فلبسها برًّا لقسم أخيه ، ثم نزعها ، فقال له عمر : مالك ؟ يعني لما نزعتها ، قال : إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك ، يعني الشهادة في سبيل اللَّه وقد نال زيد بن الخطاب ما تمناه من الشهادة في سبيل اللَّه ، ولكن ليس في الغزوات مع رسول اللَّه ، بل في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، فقد كان حامل الراية يوم معركة اليمامة ؛ أشرس معارك الردة ضد مسيلمة الكذاب ، وكان خالد بن الوليد هو القائد العام للمسلمين ، ولما حمي وطيس المعركة واشتد أوارها وحمل بنُو حنيفة حملة ضارية زلزلت بعض المسلمين ، حتى فروا من المعركة ، ولكن حامل الراية زيد بن الخطاب ﷺ جعل يصيح

بأعلى صوته : اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي .. وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، فأخذ الراية سالم مولى أبي حذيفة - وهو أيضًا من أهل الصُّفَّة - فقال المسلمون : « يا سالم ، إنا نخاف أن نؤتى من قبلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إن أوتيتم من قبلي » وظل يجاهد ويقاتل قتال الأبطال حتى استشهد هو أيضًا في سبيل اللَّه ، ولكنهم أحياء عند ربهم يرزقون . كان عمر ابن الخطاب ﷺ يحب أخاه زيدًا حبًا يفوق الوصف ، وعندما علم باستشهاده ، قال : سبقني إلى الحسنيين ، أسلم قبلي واستشهد قبلي ، وقد

حزن عليه حزنًا شديدًا ، وعندما التقى بتميم ابن نويرة أخي مالك ابن نويرة الذي قتل في حروب الردة ، وكان هو أيضًا حزن على أخيه حزنًا شديدًا ، ورثاه بشعر كثير مؤثر غاية التأثير ، فقال له عمر : لو كنت أقدر على أن أقول الشعر لبكيته - أي زيدًا - كما بكيت أخاك ، فقال مُتَمِّمُ : « يا أمير المؤمنين لو قتل أخي يوم اليمامة كما قتل أخوك - أي مات شهيدًا - ما بكيته أبدًا » فقال عمر : ما عزاني أحد في زيد كما عزاني متمم بن نويرةَ رحِمَ اللَّه زيد بن الخطاب الصحابي الجليل ساكن الصُّفَّة الشهيد » .

الخاتمة

بقيت كلمة ينبغي أن تقال في ختام هذه المقالة عن أهل الصُّفَّة ﷺ ؛ وهي هل هناك صلة بينهم وبين التصوف والصوفية ؟

التصوف كسلوك وعلم لم يظهر في الفكر الإسلامي قبل منتصف القرن الثاني الهجري ، ومع ذلك يحبذ المتصوفة أن يربطوا حبالهم بحبال الزهاد من الصحابة ﷺ بصفة عامة وأهل الصُّفَّة بصفة خاصة ، لتأصيل مذهبهم وإرجاعه إلى بدايات الإسلام ، ويفهم من كتابات بعض العلماء أنهم يؤيدون هذا الاتجاه ؛ فأبو نعيم الأصفهاني - رحمه اللَّه تعالى - في كتابه حلية الأولياء الذي كان أهم مصدر أخذنا منه أخبار أهل الصُّفَّة ، يقول في مقدمة الكتاب : « أما

بعد : أحسن الله توفيقك ، فقد استعنت بالله ﷻ ، وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم ، من أعلام المحققين ، من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقات من النساك ومحجتهم ، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، ممن عرف الأدلة والحقائق ، وباشر الأحوال والطرائق ، وساكن الرياض والحدائق ، وفارق العوارض والعلائق ، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين ، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين ، ومن الكسالى والمثبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال والمخالفين لهم في العقيدة والفعال » [1] .

وفي نهاية تلك المقدمة الطويلة يقول : « بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال

(١) حلية الأولياء : (٣/١ ، ٤) .

من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال وعصم من الفتور والإكسال ... فمن المهاجرين : أولهم أبو بكر الصديق » [١] .

فأبو نعيم هنا يقدم مجموعة من كبار الصحابة بدأهم بأبي بكر ، ثم ثنَّى بعمر بن الخطاب ... إلخ على أنهم كانوا في سلوكهم قدوة حسنة لمن جاء بعدهم وسلك طريقهم ، ثم بعد ذلك ، أي بعد أن قدم عددًا من الصحابة الزهاد ، أوصلهم إلى ستة وأربعين صحابيًا ، بدأ في الكلام عن أهل الصُّفَّة الذين سبق الحديث عنهم في هذه المقالة ، وعلى هذا ، فهو يؤيد دعوى الصوفية بأن أولياتهم تعود إلى بدايات الإسلام وأن سلوك الصحابة كان

---

(١) نفس المصدر ، (ص ٢٨) .

مثلهم الأعلى ، حتى وإن لم يظهر مصطلح أو وصف الصوفية في ذلك الوقت المبكر .

فهو يقول عند كلامه عن أبي بكر الصديق وبصفة خاصة عن موقفه المعروف عند وفاة النبي ﷺ ، وكيف صدع بالحقيقة المرة ، وأعلن وفاة النبي ﷺ ، وهذا يدل على كمال العقل وغاية الثبات ورباطة الجأش في أصعب الظروف ، يقول أبو نعيم معلقًا على هذا الموقف من أبي بكر رضي الله عنه : « وقد قيل إن التصوف الاعتصام بالحقائق عند اختلاف الطرائق » [1] أي أن المتصوف الحقيقي هو الذي يهتدي إلى الحقيقة عندما تتشعب الطرق والمسالك ، وتترك الحليم حيرانًا ، فهو هنا يقول بصراحة : إن أبا بكر

(١) حلية الأولياء ، مصدر سابق ، (١/٢٩) .

هو الصوفي الأول في الإسلام .

وعلى كل حال فإن نزعة التصوف لا يخلو منها دين من الأديان السماوية ولا ملة من الملل والنحل الوضعية .

يقول الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور في مقال له عن التصوف [1] : « يمثل التصوف نزعة إنسانية ، يمكن القول بأنها ظهرت في كل الحضارات ، على نحو من الأسماء ، وهو يعبر عن شوق الروح إلى التطهر ، ورغبتها في الاستعلاء على قيود المادة ، وكثافتها ، وسعيها الدائم إلى تحقيق

(١) انظر المقال بكامله في موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، الإصدار الأول ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص ١٤٩ - ١٥١) .

مستويات عليا من الصفاء الروحي والكمال الأخلاقي ، ولم يكن المسلمون استثناءً من هذه القاعدة ؛ فقد ظهر التصوف لديهم مثلما ظهر لدى من سبقهم أو عاصرهم من الأمم . وقدم الصوفية تفسيرات متعددة لهذه النسبة ، التي تميزوا بها عن غيرهم من الفرق والطوائف ، التي ظهرت في المجتمع الإسلامي » .

والخلاصة أن دعوى الصوفية أنهم امتداد لكبار الصحابة وبصفة خاصة أهل الصُّفَّة ، رضي اللَّه عنهم جميعًا ، هي دعوى ليست بعيدة عن الحقيقة ، في ضوء ما نلقناه عن أبي نعيم ، والمقصود بالتصوف هنا هو التصوف الحقيقي ، أي التصوف السني الذي يرتكن على كتاب اللَّه ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ ، واللَّه أعلم .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٣١٩٤
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 433 - 2

السيرة الذاتية للمؤلف



هو أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف .

وُلِدَ في ١٩٣٦/٧/١٠ .

حصل على الإجازة العالية (الليسانس) في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٦م ، وعين معيدًا بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة في نفس العام . وحصل على الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٨م ، وعين مدرسًا مساعدًا سنة ١٩٧٢م، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٤م . وعين مدرسًا سنة ١٩٧٤م ، ثم أستاذًا مساعدًا سنة ١٩٧٩م ، ثم أستاذًا سنة ١٩٨٤م ، ثم أستاذًا متفرغًا

سنة ٢٠٠١م وحتى الآن .

له الكثير من المؤلفات ؛ منها : تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة - مؤتمر السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق ﷺ [دراسة نقدية تحليلية] - العالم الإسلامي في العصر الأموي - وغيرها .

وهو عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، واتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، واللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، ولجنة ترقية الأساتذة بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة وأم القرى بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية ، واشترك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل مصر وخارجها . وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه .

(من أجل تواصلٍ بنَّاءٍ بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « أهل الصفة » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاءٍ بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفـة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... **الدولة :** ....

المدينة : .... **حي :** .... **شارع :** ...... **ص.ب**:........

تليفون: [ ] / [ ] e-mail :

– من أين عرفت هذا الكتاب ؟

□ أثناء زيارة المكتبة □ ترشيح من صديق □ مقرر □ إعلان □ معرض

– من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ....المدينة :............

العنوان : ....

– ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

□ عادي □ جيد □ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ □ رخيص □ معقول □ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء)........ العملة ....

- هل صادفت أخطاء طبعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

□ نادرًا □ يوجد أخطاء طبعية □ موضع الخطأ ....

....

....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على
e-mail:info@dar-alsalam.com
أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية
لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا